مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (١٠) العدد (٢) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies - engineering Sciences Series Vol. (10) No. (2) 2026

بين العمارة والطبيعة

كيف أبدعت المدن العربية مساحاتها الخضراء عبر العصور

أ.م.د. سامي شيخ ديب *

(تاريخ الإيداع ٢٠٢٥/١١/٣ . قُبِل للنشر في ٢٠٢٦/١/٢٠)

□ ملخّص □

يستكشف هذا البحث التكامل الإبداعي للمساحات الخضراء في المدن العربية عبر التاريخ، كاشفًا عن علاقة فريدة بين العمارة والطبيعة. فمن الفناء الخاص كنواة معمارية، إلى ساحات الأحياء كمساحات للتفاعل الاجتماعي، وصولًا إلى الحدائق الضواحي التي تحولت من رموز وظيفية إلى رموز حضارية، لم تكن المساحات الخضراء مجرد زخارف عابرة، بل كانت نواة حيوية تُشكل الهوية الاجتماعية والثقافية والبيئية. كما تبحث الدراسة في ثنائية الخصوصية والانفتاح في المساحات العامة العربية مقارنةً بالنموذج الأوروبي، كاشفةً عن فلسفات متباينة في التعامل مع الطبيعة والمجتمع. وأخيرًا، تناقش هذه الورقة التحولات الجذرية التي شهدتها المدن العربية الحديثة، حيث أدت العولمة والتحضر السريع إلى ظهور كيانات هجينة تسعى إلى تحقيق التوازن بين الأصالة والحداثة. يهدف هذا البحث إلى تفكيك العلاقة المعقدة بين العمارة والبيئة في السياق العربي، وكيف استُخدمت المساحات الخضراء كوسيط ثقافي وحضاري يعكس رؤى وتطلعات المجتمعات عبر الزمن. تعتمد المنهجية على تحليل تطور المساحات الخضراء في العمارة العربية عبر العصور، من الفناء كوحدة وظيفية وجمالية إلى الحدائق العامة كرموز حضارية، ودراسة النماذج المعمارية لفهم ديناميكيات التفاعل بين الطبيعة والمجتمع. ويختتم البحث بتقييم مستقبلي لدور المساحات الخضراء في تحقيق التوازن بين التحضر الحديث والحفاظ على التراث البيئي، واقتراح إطار تخطيطي يعيد النظر في البعد البيئي في التصميم الحضري المعاصر. ويسعى البحث من خلال هذه المنهجية إلى تقديم رؤية شاملة تجمع بين الأصالة والحداثة، كاشفةً عن عبقرية العمارة العربية في صياغة مساحات خضراء تلبي احتياجات المجتمع وتجسد قيمة جمالية ووظيفية.

الكلمات المفتاحية: الفراغ الأخضر، الفناء، البيت العربي التقليدي، التصميم العمراني المستدام.

* أستاذ مساعد في قسم تخطيط المدن والبيئة، كلية الهندسة المعمارية، جامعة اللاذقية، اللاذقية، سوريا

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (١٠) العدد (٢) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies - engineering Sciences Series Vol. (10) No. (2) 2026

Between Architecture and Nature
How Arab cities have created their green spaces throughout the ages

Dr. Sami Cheikh Dib *

(Received 3/11/2025 . Accepted 20/1/2026)

□ ABSTRACT □

This research explores the creative integration of green spaces in Arab cities throughout history, revealing a unique relationship between architecture and nature. From the private courtyard as an architectural core to neighborhood squares as spaces for social interaction and suburban parks that transformed from functional to civilizational symbols, green spaces were not mere transient ornaments but a vital nucleus shaping social, cultural, and environmental identity. The study also examines the duality between privacy and openness in Arab public spaces compared to the European model, revealing divergent philosophies in dealing with nature and society. Finally, this paper discusses the radical transformations witnessed by modern Arab cities, where globalization and rapid urbanization led to the emergence of hybrid entities seeking balance between authenticity and modernity. This research aims to deconstruct the complex relationship between architecture and environment in the Arab context, and how green spaces were employed as a cultural and civilizational medium reflecting the visions and aspirations of societies over time. The methodology relies on analyzing the evolution of green spaces in Arab architecture across eras, from the courtyard as a functional and aesthetic unit to massive parks as civilizational symbols, studying architectural models to understand the dynamics of interaction between nature and society. The research concludes with a future assessment of the role of green spaces in achieving a balance between modern urbanization and preserving environmental heritage, proposing a planning framework that reconsiders the ecological dimension in contemporary urban design. Through this methodology, the research seeks to present a comprehensive vision combining originality and modernity, revealing the genius of Arab architecture in crafting green spaces that meet the needs of society and embody aesthetic and functional value.

Keywords: Green space, Courtyard, Traditional Arab House, Sustainable Urban Design.

* Associate Professor, Department of Urban Planning and Environment, Faculty of Architecture, Lattakia University, Lattakia, Syria.

١. مقدمة البحث:

في قلب العمارة العربية، حيث تلتقي الحجارة بالخضرة تنبض روح المكان بأسرار عمرها قرون، تجسد المدن العربية عبر عصورها علاقة فريدة بين البناء والطبيعة، حيث لم تكن المساحات الخضراء مجرد زينة عابرة، بل كانت نواة حيوية تشكل الهوية الاجتماعية والثقافية والبيئية.

تبحث هذه الورقة في إبداع المدن العربية بصياغة فضاءاتها الخضراء، من الفناء الداخلي كجوهر معماري خاص، إلى ساحات الأحياء كأماكن التفاعل المجتمعي، وصولاً إلى منتزهات الضواحي التي تحولت من وظائفها العملية إلى رموز حضارية. كما تتناول الدراسة بين الخصوصية والانفتاح في الفضاءات العامة العربية، مقارنة بالنموذج الأوربي، لتكشف عن فلسفات متباينة في التعامل مع الطبيعة والمجتمع.

وأخيراً تناقش هذه الورقة التحولات الجذرية التي شهدتها المدن العربية الحديثة، حيث أدت العولمة والتحضّر المتسارع إلى نشوء كيانات هجينة تبحث عن توازنها بين الأصالة والحداثة.

١,١ هدف البحث:

يسعى هذا البحث إلى دراسة العلاقة المتبادلة بين العمارة والبيئة في السياق العربي التقليدي، وكيفية توظيف المساحات الخضراء بما ينسجم مع العادات والتقاليد العربية والإسلامية. يهدف البحث إلى تقديم رؤية شاملة تجمع بين الأصالة والحداثة، وتكشف عن عبقرية العمارة العربية في صياغة مساحات خضراء تلبي حاجات المجتمع وتجسد قيّمه الجمالية والوظيفية. وبما ينسجم مع الشكل الحضري للمدينة العربية الإسلامية، والتأكيد على العلاقة الوطيدة بين البعد البيئي والبعد الاجتماعي، من خلال دراسة تطور هذه المساحات في العمارة العربية عبر العصور، بدءاً من الفناء الداخلي كوحدة وظيفية وجمالية وصولاً إلى المنتزهات الضخمة كرموز حضارية

١. ٢ منهجية البحث:

تعتمد منهجية البحث المنهج التاريخي– الوصفي، حيث تقوم على دراسة التتبع التاريخي لتطور المساحات الخضراء ضمن العمارة العربية التقليدية، والتي تعتمد على دراسة النماذج المعمارية لفهم ديناميكية التفاعل بين الطبيعة والمجتمع.

يقدم البحث وصفاً معمّقاً لساحات الأحياء والمنتزهات والضواحي، مع تحليل وظيفتها الاجتماعية والرمزية وإبراز الخصوصية المحلية لها. ومناقشة تحول المدن العربية إلى "كيانات هجينة " تحت ضغط العولمة والتحضر السريع، محللاً الأسباب المعمارية والاجتماعية لهذا التحوّل، وتداعياته على الهوية الحضرية والاستدامة البيئية.

ويختتم البحث بتقييم مستقبلي لدور المساحات الخضراء في تحقيق التوازن بين التمدن الحديث والحفاظ على التراث، مقترحاً إطاراً تخطيطياً يعيد الاعتبار للبعد الإيكولوجي في التصميم العمراني المعاصر.

٢. المناقشة والنتائج:

٢ .١ الفناء الداخلي – النواة الخضراء في العمارة العربية التقليدية:

الفناء كفضاء معماري بيئي متكامل قلب العمارة العربية النابض بالحياة، إن الفناء لم يكن فراغاً عادياً، بل نظاماً إيكولوجياً متكاملاً يجسد عبقرية العمارة العربية في صنع واحة خضراء تتنفس بها الروح والحجارة.

١. المفهوم الجوهري للفناء في العمارة العربية:

يمثل الفناء الداخلي (الحوش) نواة مكانية ووظيفية في البيت العربي التقليدي، حيث يجسد التوازن بين الإنسان والطبيعة من خلال تكامله مع العناصر البيئية والاجتماعية، فهو ليس مجرد فراغ مفتوح، بل نسيج معماري

حيوي يربط بين الظل والضوء، الخصوصية والانفتاح، الصلابة والنعومة النباتية.

٢. الخصائص التصميمية والبيئية للفناء: [١]

-الاستجابة المناخية: يعمل الفناء كمنظومة تبريد سلبي عبر تيارات الحمل الحراري (الهواء البارد من الأسفل والساخن من الأعلى) وفقاً لمبادئ العمارة الحيوية (Bioclimatic Architecture).

-التكوين الهندسي: غالباً ما يكون مربعاً أو مستطيلاً، محاطاً بأروقة (ليوان) تظلل الفراغ وتعزز الخصوصية البصرية، مع نافورة أو حوض ماء مركزي لترطيب الجو.

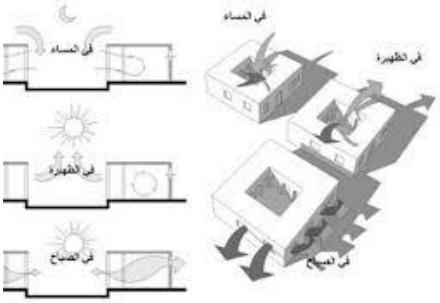

الشكل (١): الشكل الهندسي للفناء العربي-المصدر:[٣]

٣. الأبعاد الثقافية والاجتماعية: [١]

-فضاء للعبادات والاحتفالات: كونه مكاناً للاجتماعات العائلية وطقوس الحياة اليومية.

-حديقة داخلية مغلقة: تحاكي مفهوم الجنة في الإسلام.

٤. التفاعل بين العمارة والطبيعة: [2]

-النباتات كعنصر تشكيلي: أشجار النخيل والزيتون والليمون تشكل مشهداً حيوياً يخفف حدّة الخطوط المعمارية.

-الماء كعنصر صوتي وبصري: خرير النوافير يعطي بعداً سيكولوجياً يهدئ الأعصاب.

٥. الفناء كنموذج مستدام للمدن المعاصرة: [3]

أثبتت الدراسات أن إعادة توظيف الفناء في التصميم الحديث يقلل من استهلاك الطاقة بنسبة ٤٠%، مما يجعلها حلاً بيئياً لمشاكل التمدن السريع.

٢. ١ .١ الأبعاد التصميمية والوظيفية للفناء الداخلي في البيت العربي التقليدي:

يدل الفناء الداخلي على عبقرية العمارة العربية في المزج بين الوظائف العملية والجمالية، مستنداً إلى حكمة بيئية واجتماعية، تظهر الدراسات أن إحياء هذا النموذج يمكن أن يساهم في تحقيق الاستدامة العمرانية المعاصرة.

١. الشكل الهندسي والتناسب: [4]

-التكوين المركزي: يتموضع الفناء في قلب البيت، محاطاً بالأروقة والغرف، مما يفرز التوزيع المتوازن للفراغات.

-الأشكال الهندسية: غالباً ما يكون مربعاً أو مستطيلاً مع تناسق واضح يعكس مفاهيم الجمال في العمارة.

-المواد المستخدمة: يبنى بأحجار محلية أو طين، مع زخارف جصية وفخارية تعكس الهوية الإقليمية.

٢. العناصر الطبيعية والتنسيق: [5]

-النباتات: تزرع أشجار مثمرة (كالنخيل والحمضيات) أو نباتات عطرية (كالياسمين والريحان) مما يخلق بيئة ميكروكليمية Macroclimate.

-المياه: يزود الفناء بنافورة أو حوض ماء لترطيب الجو، وتعزيز الاسترخاء النفسي.

[3] https://www.google.com/url?sa=i&url=https%3A%2F%2Fwww.archinet.me

٣. **العلاقة مع الفراغات المحيطية:** [6]

-الأروقة (الليوان): أعمدة وأقواس تحيط بالفناء، توفر ظلالاً وتسهّل الانتقال بين الداخل والخارج.

-التشبيك البصري: فتحات ونوافذ علوية (مشربيات) تسمح بدخول الضوء مع الحفاظ على الخصوصية.

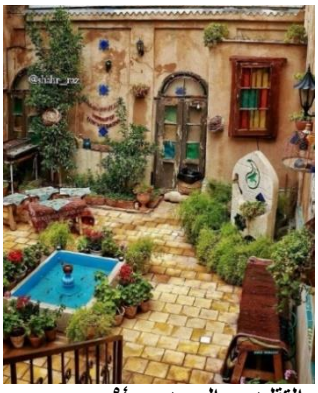

الشكل (٢): البيئة الخضراء وعناصر التنسيق ضمن الفناء العربي التقليدي- المصدر : [4][5]

٤. **الأبعاد الوظيفية للفناء الداخلي:**

a) الوظيفة المناخية: [4]

-التهوية الطبيعية: يعمل كموجّه للهواء حيث يوجه الهواء البارد إلى الغرف عبر تأثير المدخنة.

-العزل الحراري: الجدران السميكة والنباتات تقلل من الحرارة صيفاً وتحتفظ بالدفء شتاءً.

b) الوظيفة الاجتماعية: [6]

-فضاء للتجمع العائلي: يستخدم للاحتفالات والوجبات اليومية، مما يعزز التماسك الأسري.

-خصوصية المرأة: يصمم لضمان عزل النساء عن الضيوف غير المحارم وفقاً للعادات العربية.

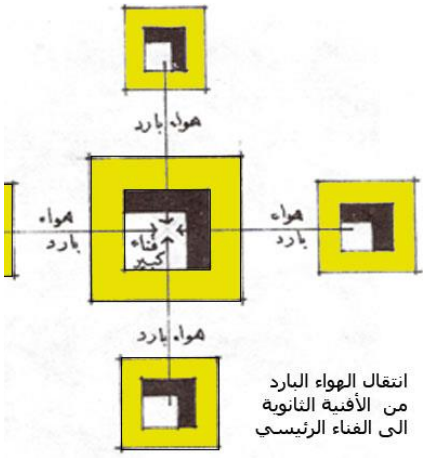

الشكل (٣): الوظيفة المناخية للفناء العربي التقليدي المصدر:[6]

c) الوظيفة الجمالية والنفسية:

-التأثير البصري: يشكل لوحة فنية طبيعية تهدئ الاعصاب.

-الرمزية الثقافية: يعكس مفهوم الجنة في الإسلام كفضاء خصب وماء.

٢. ١. ٢ الابتكار البيئي في الفناء الداخلي للبيت العربي التقليدي:

١. **التحكم المناخي السلبي:**

-التهوية الطبيعية: يعتمد الفناء على تأثير الملاقف (Wind Catcher Effect)

-حيث توجه الرياح الباردة عبر الفتحات العلوية (كالشناشيل والمقرنصات) لتدوير الهواء داخلياً، بينما يطرد الهواء الساخن إلى الأعلى بفعل تأثير المدخنة.

[4] https://scontent-hbe1-1.xx.fbcdn.net/v/t39.30808
[5] https://pbs.twimg.com/media/E93widzWEAIQLCD
[6] https://www.google.com/url?sa=i&url=https%3A%2F%2Far.m.

-التبخير التبريدي: تساهم النوافير والأحواض المائية والنباتات في زيادة الرطوبة النسبية، مما يخفف من حرارة الجو في المناطق الصحراوية، كما في بيوت القاهرة القديمة وبغداد العباسية.

٢. العزل الحراري والظل الديناميكي:

-الجدران السميكة المصنوعة من الطين أو الحجر تقلل التبادل الحراري مع الخارج.

-الأروقة والأعمدة توفر ظلالاً متحركة تتكيف مع زوايا الشمس على مدار اليوم، كما في قصور الأندلس مثل (قصر الحمراء).

-الأشجار المتساقطة الأوراق (كالنخيل والتين) توفر ظلاً صيفياً وتسمح بدخول الشمس شتاءً.

٣. إدارة الموارد المائية:

-أنظمة تصريف مياه الأمطار (كالسرداب في بيوت حلب) تعيد استخدام المياه لري النباتات

-القنوات المائية تحت الأرض تبرد الهواء قبل دخوله إلى الغرف، كما في بيوت تونس والجزائر.

٤. التنوع الحيوي والاستدامة:

-زراعة النباتات المحلية المقاومة للجفاف (كالياسمين والليمون) تحافظ على التوازن البيئي

-الفناء كمرشح طبيعي للغبار يحسّن جودة الهواء الداخلي، مما يجعله نموذجاً أولياً للمباني الخضراء الحديثة.

٢. ١. ٣ الفناء الداخلي في البيت العربي التقليدي كرمز ثقافي مستدام:

الاستدامة الثقافية ذاكرة جماعية متوارثة: إن إحياء هذا المفهوم في العمارة المعاصرة ليس ترفاً، بل ضرورة لمواجهة تحديات التمدن السريع وتغير المناخ، مما يجعله علامة فارقة في العمارة الخضراء العالمية.

١. **فضاء العبور الزمني:** يحمل الفناء دلالات تراكمية من العمارة الإسلامية والأندلسية حتى العمارة المحلية، مما يجعله سجلاً حيّاً للتقاليد البنائية. [8]

٢. **رمز الكيان الاسري:** يشكل الفناء مساحة للتفاعل الاجتماعي، حيث الجلوس العائلي والمناسبات الدينية، مما يعزز التماسك المجتمعي. [8]

٣. **التكيف مع العصر:** تعاد صياغة الفناء في المشاريع المعاصرة (كأفنية المتاحف والفنادق التراثية) كجسر بين الأصالة والحداثة، مما يؤكد مرونته التصميمية. [9]

٤. **إرث معماري يتحدى الزمن:** لم يكن الفناء الداخلي مجرد رديف جمالي في البيت العربي، بل كانت بيئة مستدامة متكاملة تحقق الراحة الحرارية والسلامة النفسية والاستمرارية الثقافية. [9]

٢. ١. ٤ التحديات المعاصرة وإعادة التعبير :(إحياء الفناء الداخلي في العمارة العربية)

يواجه الفناء الداخلي – ذلك القلب النابض بالحياة في البيت العربي التقليدي – تحديات عصرية جسيمة تهدد بقاءه كفضاء معماري حيوي، فبين زحف العمران الحديث وتبدل أنماط العيش، تبرز إشكاليات تتطلب حلولاً إبداعية تجمع بين الأصالة والحداثة،.. فكيف يمكن إعادة تشكيل هذه "النواة الخضراء " لمواكبة العصر دون أن تفقد روحها؟

١. أبرز التحديات المعاصرة:

a) التوسع العمراني والضغط على المساحات:

أدى ارتفاع الكثافة السكانية وانتشار الأبراج السكنية إلى تقليص المساحات المخصصة للفناء، مما حوّله

إلى عنصر ترفي نادر في التصميمات المعاصرة، ووفقاً للدراسات فإن ٨٠% من الوحدات السكنية الجديدة في المدن العربية تخلو من الأفنية الداخلية بسبب ارتفاع تكلفة الأرض. [10]

b) انفصال العمارة عن المناخ:

اعتماد أنماط البناء الغربي (مثل الواجهات الزجاجية المغلقة) يقلل من فعالية الفناء كمنظم مناخي طبيعي، مما يزيد من استهلاك الطاقة، وفقاً للدراسات فإن تكييف الهواء في المباني الحديثة يستهلك طاقة أكثر بِـ ٤٠% مقارنة بالمباني التقليدية ذات الأفنية. [10]

c) تغير القيم الاجتماعية والخصوصية:

تحولت الأدوار الاجتماعية للفناء من فضاء للعائلة الممتدة إلى مكان ثانوي في ظل نمط الحياة الفردي، ووفقاً للدراسات فإن الأسر الشابة تفضل الشرفات المغلقة على الأفنية المفتوحة بسبب عوامل الخصوصية. [11]

d) نقص الوعي البيئي والجمالي:

يُنظر إلى الفناء اليوم كمساحة ضائعة بدلاً من كونه نظاماً بيئياً مصغراً يحسّن جودة الهواء ويقلل التلوث الضوضائي. [12]

٢. رؤى لإجراء التغيير والتحوّل:

ليست مجرد ذكرى من الماضي، بل هو حل مستقبلي لتحديات التمدن والبيئة، وذلك بإعادة تخيّله عبر عدسة الابتكار، حيث يمكن أن يصبح رمزاً لعمارة عربية توازن بين التراب والحديد، بين الظل والنور، بين الذاكرة والحداثة. وفيما يلي تجارب عربية، هي بمثابة رؤى لإجراء التغيير والتحول.

a) التكيف مع المساحات المحدودة:

- دمج أفنية عمودية أو أفنية داخلية مصغّرة في التصاميم الحديثة، كما في مشروع "الدار البيضاء الخضراء " في المغرب. [13]

b) الدمج التكنولوجي:

- استخدام أنظمة الري الذكية والنباتات ذات الاستهلاك المائي المنخفض لتعزيز الاستدامة.
- تجربة "فناء المستقبل" في دبي تدمج الخلايا الشمسية الشفافة ضمن عناصر الفناء. [14]

c) إعادة التفكير في الوظيفة الاجتماعية:

- تحويل الأفنية إلى مساحات مشتركة في المجمعات السكنية لتعزيز التفاعل المجتمعي، كما في مشروع "حي الفناء " في الرياض. [15]

d) تشريعات داعمة:

-فرض معايير خضراء تُلزم المطورين بتخصيص مساحات للأفنية في المباني الجديدة، كما فعّلت " مواصفات البناء الأخضر " في الإمارات. [16]

٢,٢ ساحة الحي – المساحة الخضراء كفضاء اجتماعي:

1.2.2 السياق التاريخي والعمراني لساحة الحي في المدن العربية التقليدية:

شكلت ساحات الأحياء في المدن العربية التقليدية نواة حيوية تجسد التفاعل بين العمارة والطبيعية، حيث مثلت المساحات الخضراء رئة اجتماعية وبيئية تتنفس منها المجتمعات الحضرية، تأتي أهمية هذه الساحات من

دورها المزدوج كفضاءات خضراء ومراكز للتفاعل المجتمعي، مما يجعلها عنصراً أساسياً في النسيج العمراني الإسلامي والعربي.

الأصول التاريخية: تعود جذور ساحات الأحياء في المدن العربية التقليدية إلى التقاليد العمرانية الإسلامية المبكرة، حيث ارتبطت بالقيم الاجتماعية والدينية التي تحث على التواصل والتعايش، فقد ظهرت هذه الساحات كامتداد لوظيفة " الرحبة" في العمارة الإسلامية، والتي كانت تستخدم للاجتماعات والأسواق والاحتفالات، كما تأثرت بتخطيط المدن الفارسية والبيزنطية، حيث دمجت الحدائق ضمن النسيج الحضري. [17]

2.2.2 الخصائص العمرانية: [18،١٩]

تميزت ساحات الأحياء العربية بتكاملها مع البيئة المحيطة، حيث صممت لتكون:

-مركزاً للحيّ: تتوسط الساحة النسيج العمراني، محاطة بالمساجد والأسواق والمنازل، مما يعزز الوظيفة الاجتماعية.

-متنفساً طبيعياً: زودت بأشجار من الظل (مثل النخيل والتين) ونوافير المياه، مما يوفر مناخاً محلياً ملطفاً.

-عنصراً وظيفياً متعدد الأغراض: استخدمت للاجتماعات اليومية والأعياد، وحتى كفضاء تعليمي أحياناً.

التكيف مع المناخ: اعتمد تصميم الساحات على مبادئ العمارة المستدامة مثل: [20]

-التوجيه الجغرافي: لتوفر الظلّ في أوقات الذروة.

-استخدام المواد المحلية: كالحجر والجص، التي يخفف من حدّة الحرارة.

-التهوية الطبيعية: عبر الممرات المظلّلة.

3.2.2 الخصائص التصميمية للساحات الخضراء في أحياء المدن العربية التقليدية:

١. التكامل مع النسيج العمراني:

- الموقع المركزي: مخطط الساحات الخضراء في قلب الحي لتكون نقطة تلاقٍ طبيعية، مما يعزز الوصولية ويشجع التفاعل المجتمعي.

- الارتباط بالمسجد والسوق: غالباً ما تقع ساحات الأحياء بالقرب من المساجد والأسواق لتعزيز الحياة اليومية، كما في ساحات دمشق والقاهرة القديمة.

٢. العناصر الطبيعية والظلال: [21]

- الأشجار المثمرة والنخيل: تختار نباتات متحملة للجفاف (كالنخيل والزيتون) لتوفير الظل والثمار، مع تقليل استهلاك المياه.

- النوافير والبرك المائية: تدمج عناصر الماء لتحسين المناخ المحلي وخلق بيئة مريحة، كما في ساحة جامع الفناء في مراكش.

٣. التصميم المتكيف مع المناخ: [22]

- المشربيات والمظلات: تستخدم عناصر ظليه (كالمشربيات والأقواس) لحماية المستخدمين من الشمس، مع السماح بتهوية طبيعية.

-الأرضيات ذات المسامية: تفضل المواد (كالحجر الجيري) لامتصاص الحرارة وتقليل الانعكاس.

٤. **الخصوصية والتراتبية البصرية:** [21]

-التقسيم الطبقي للفضاء: تصمم المساحات بتدرج من المناطق العامة (للمجالس الجماعية) إلى شبه الخاص (العائلات) باستخدام الأسوار النباتية أو الجدران المنخفضة.

-المقاعد المدمجة: تنشر مقاعد حجرية أو خشبية حول محيط الساحة لتعزيز الجلسات العفوية.

٥. **الاستدامة والهوية الجمالية:** [23]

-الأنماط الهندسية: تزين الأرضيات والأحواض النباتية بأنماط إسلامية مثل (الأرابيسك) لتعزيز الهوية البصرية.

-إعادة استخدام المياه: تُوجه مياه الأمطار والمجاري المنزلية لريّ المزروعات كما في واحات الأحساء. هذا التحليل يُبرز كيف أن الساحات الخضراء التقليدية لم تكن مجرد مساحات جمالية، بل أنظمة ذكية متكاملة مع احتياجات المجتمع والبيئة، مما يجعلها نموذجاً ملهماً للتصميم المعاصر.

4.2.2 التحولات الحديثة في ساحات الأحياء العربية التقليدية

١. **بين التهميش والاستعادة:**

شهدت الساحات الخضراء في الأحياء العربية التقليدية تحولات جذرية في العصر الحديث، حيث طغت النموذجية العمرانية الغربية، والتمدد العشوائي، وغياب التخطيط الحضري المستدام، فتحولت العديد من هذه المساحات من فضاءات حيوية إلى أراضٍ مهمشة، أو استبدلت بمشاريع تجارية وإسكانية تفتقر إلى البعد الإيكولوجي والاجتماعي. ومن أبرز مظاهر هذه التحولات:

a) التوسع العمراني غير الموجّه:

أدى النمو السكاني السريع إلى تآكل المساحات الخضراء لصالح البناء الرأسي، مما أفقد المدن هويتها " كواحات حضرية " [24]

b) تغيّر النمط الاجتماعي:

تراجع استخدام الساحات كمكان للتفاعل المجتمعي، مع صعود مراكز التسوق كبديل "معولم".[25]

c) التدهور البيئي:

قلّة المسطحات الخضراء، مما زاد من تأثير " الجزر الحرارية " في المدن العربية. [26]

- **التحديات: بين الاستدامة والهوية**

تواجه هذه المساحات تحديات معقدة منها: [27،28]

-التحدي التخطيطي: غياب سياسات واضحة لإدراج المساحات الخضراء في المخططات العمرانية الجديدة.

-التحدي الثقافي: انفصال الأجيال الجديدة عن مفهوم " الفناء الاجتماعي " لصالح الفردانية الرقمية.

-التحدي البيئي: ندرة المياه وارتفاع درجات الحرارة يهددان بقاء الغطاء النباتي.

- **رؤى مستقبلية نحو استعادة الفضاء الأخضر:**

لإحياء هذه المساحات تطرح حلول مثل: [29]

-إعادة التصميم التكيفي: دمج الحدائق ذات النظم البيئية المحلية مع تقنيات الريّ الذكية، مثل (الأفلاج في عُمان).

-تشريعات حضرية صارمة: كتخصيص نسبة إلزامية من المساحات الخضراء في أي تطوير عمراني وفق معايير (LEED) أو (ESTIDAMA).

-تمكين المجتمع: بإشراك السكان في تصميم الساحات لضمان استدامتها الاجتماعية.

٢. صراع بين الذاكرة الجمعية والحداثة العمرانية: [29]

شهدت الساحات الخضراء في المدن العربية تحولات جذرية في العصر الحديث، حيث أصبحت ضحية للصراع بين الحفاظ على الهوية ومتطلبات التمدن السريع، هذه التحولات يمكن رصدها عبر ثلاث مستويات:

a) التحول العمراني: (من الفضاء العضوي إلى الشبكة الصلبة) [31]

-اختفاء النسيج العضوي لصالح الشبكات الشطرنجية، مما أفقد الساحات دورها كمراكز طبيعية للتجمع.

-تحوّل الساحات إلى مواقف سيارات أو جزر معزولة بفعل شوارع واسعة.

b) التحول الاجتماعي: (من الجماعية إلى الفردانية) [30]

-تراجع دور الساحة "كمجلس الحي" أمام صعود الفضاءات الافتراضية.

-استبدال أشجار النخيل بِ "الديكورات الخضراء" غير الوظيفية في المشاريع الحديثة.

c) التحول البيئي: (من الاستدامة إلى الاستنزاف)

-انقراض أنظمة الري التقليدية (كالقنوات والفسقيات) لصالح شبكات الري الكهربائية المكلفة.

-تآكل الغطاء النباتي التاريخي بسبب التوسع العمراني، مثل (السدر والطلح)، وهي أشجار تنتشر في مناطق شبه الجزيرة العربية مثل (السعودية واليمن وعمان)، تساعد في تثبيت التربة ومنع التصحر. [30]

3.2 متنزهات ضواحي المدينة العربية – من الوظيفة إلى الرمز الحضاري

تمثل المتنزهات في ضواحي المدن العربية تحفة معمارية تجسد فيها التزاوج بين العمارة الذكية والبيئة الطبيعية، حيث انتقلت من كونها مجرد مساحات خضراء تلبي حاجات الترفيه والاستجمام إلى أيقونات حضارية تعكس الهوية الثقافية، والذوق الجمالي عبر العصور.

٢. ٣. ١ أبرز المميزات المعمارية:

١. التكامل بين الوظيفة والجمالية:

صممت المتنزهات العربية التقليدية (كحدائق قرطبة في الأندلس ومتنزهات دمشق العثمانية)، لتكون فضاءات متعددة الوظائف مثل: توفير الظل، تنقية الهواء، تخزين المياه، وإقامة المناسبات الاجتماعية، مع الحفاظ على تناغم بصري يحاكي الطبيعة. [32]

٢. التأثير المتبادل مع الحضارات:

تأثرت المتنزهات الأندلسية بالبستنة الفارسية مثل (تشهارباغ) أو الحدائق الرباعية، بينما نقل العثمانيون النمط العربي إلى أوروبا عبر حدائق إستانبول. [33]

٣. التحوّل إلى رمز حضاري معاصر:

في العصر الحديث، أصبحت متنزهات مثل "حديقة الأزهر " في القاهرة و "متنزه الملك سلمان " في الرياض مشاريع تروّج للسياحة البيئية والهوية المحلية [34].

المتنزهات في ضواحي المدن العربية ليست مجرد مساحات خضراء، بل هي شواهد حيّة على عبقرية العمارة التي حولت الوظيفة اليومية إلى إرث ثقافي خالد، يلهم اليوم حركات العمارة المستدامة عالمياً.

٢. ٣. ٢ الفضاءات العامة والخصوصية في المدن العربية التقليدية

في المدن العربية التقليدية، تمثل الساحات الخضراء وفضاءات الأحياء نسيجاً اجتماعياً وفضائياً متداخلاً، حيث تختفي الحدود الفاصلة بين المجالين الخاص والعام، على عكس النموذج الأوروبي الذي يفرّق بينهما بوضوح، هذا التداخل يعكس فلسفة عمرانية واجتماعية تعتمد على "التشاركية المكانية " كأساس لتنظيم الحياة اليومية. [35]

١. خصوصية أم تشاركية؟ إعادة تعريف المفهوم في السياق العربي

مفهوم الخصوصية في النسيج العمراني العربي لا ينفصل عن فكرة " الانفتاح المقيّد " حيث تصمم الفضاءات – مثل الأفنية الداخلية في البيوت العربية التقليدية – لتعزيز التفاعل الاجتماعي دون التخلّي عن متطلبات العائلة، وهذا يختلف جذرياً عن النموذج الغربي الذي يعتمد على " التخصيص الصارم" للفضاءات. [36]

٢. التدرج المكاني: من الفضاء إلى الضواحي الخضراء

يُظهر التخطيط العمراني العربي تقارباً عضوياً بين الفضاءات الداخلية (كالفناء) والخارجية (كساحات الأحياء) مما يشكل نظاماً متصلاً (Spatial Continuous)، هذا النظام يتوسع ليشمل الضواحي الخضراء، مما يعزز فكرة " وصولية المدينة " (The Accessible City) التي ترفض الفصل بين الوظائف الاجتماعية. [37،38]

٣. نحو نموذج عربي مستدام

التمييز بين الخاص والعام في المدن العربية ليس غياباً للخصوصية، بل هو " إعادة تشكيل لها " عبر آليات التشارك، هذه الرؤية تقدم بديلاً عن النموذج الغربي.

٢. ٤ التطور التاريخي والمعماري للفضاء الأخضر في دمشق، من الأفنية الداخلية إلى الغوطة

٢. ٤. ١ التطور التاريخي والوظيفي للفضاء الأخضر الدمشقي:

هذا التطور يعكس عبقرية التكيف البيئي والاجتماعي، حيث تحول الفضاء الأخضر من عنصر معزول إلى نظام متكامل، مؤكداً على أن الاستدامة العمرانية ليست اختراعاً حديثاً، بل تراكماً حضارياً.

١. الفناء الداخلي في البيت العربي الدمشقي (العصر الأموي – العثماني):

a) الخصائص المعمارية: [٣٩]

-تصميم هندسي متناغم مع عناصر الماء (النافورة) والنبات (كالليمون والياسمين).

-يتّبع مبدأ "الحرمة" في العمارة الإسلامية حيث يوفر خصوصية بصرية وسمعية.

-أرضية من الفسيفساء الرخامية مع أحواض زراعية محاذية للأروقة.

b) الوظائف المجتمعية والبيئية: [٣٩]

-مركز الحياة الأسرية وفضاء للاسترخاء الصيفي تحت الظل.

-نظام تبريد طبيعي عبر التبخّر النباتي وتيارات الحمل الحراري.

-رمزية جمالية تعكس مفهوم الجنة في الثقافة الإسلامية.

٢. ساحات الاحياء في دمشق القديمة (العصر المملوكي – العثماني):

a) التحول المعماري: [٤٠]

-انتقال من الفضاء المغلق إلى شبه العام مع الحفاظ على عناصر " الحوش ".
-ظهور "السقايات " كمصادر مائية عامة محاطة بأشجار الدلب والصفصاف.
-تكامل مع المباني الدينية والتجارية كمتنفس بصري.

b) الأدوار المجتمعية:

-فضاء للتجمعات الموسمية (الأعياد – المناسبات الدينية).
-نقطة التقاء بين الأحياء السكنية والأنشطة التجارية.
-نظام تهوية طبيعية للمدينة المبنية بكثافة.

٣. الغوطة الشرقية والغربية (العصر الروماني – الحديث):

a) التطور العمراني: [٤١]

-تحوّل من ضواحي زراعية إلى امتداد حضري بيئي.
-شبكة قنوات "القساطل " التاريخية التي تغذي البساتين.
-تكامل بين العمارة الريفية (القصور الصيفية) والأنظمة الزراعية.

b) الوظائف البيئية والاجتماعية: [٤١]

-رئة دمشق البيئية ومصدر الأمن الغذائي التاريخي.
-فضاء الترويح الجماعي (الرحلات الربيعية، السيران،..).
-نظام إيكولوجي يحمي المدينة من التصحر ويلطّف مناخها.

٤. التحليل المقارن للتطور الوظيفي: إعداد باحث

	الفناء الداخلي	ساحات الأحياء
الخصوصية	عالية	متوسطة
عنصر الماء	جمالي	وظيفي – جمالي
الوظيفة	روحية – عائلية	اجتماعية – تجارية
النباتات	زينة – رائحة	ظل – رمزية

٢. ٤. ٢ بيت نظام –دمشق

بيت نظام ليس مجرد منزل، بل تحفة تعكس روح دمشق القديمة، حيث الجمال الوظيفي والجمال البيئي يتّحدان ليخلقا مسكناً ينضح بالتاريخ والأناقة. هذا البيت يقع في دمشق القديمة، وهو أحد أروع الأمثلة على العمارة الدمشقية التقليدية، ويتميز بفنائه الداخلي (الإيوان) الذي يعكس جماليات الفن الإسلامي والتصميم المميز للبيوت الدمشقية العريقة:

الشكل (٥-٤): مدخل بيت نظام في دمشق– المصدر: [7]

١. **التصميم المعماري التقليدي:** [٤٢]

– البيت مبني حول فناء مركزي مفتوح (صحن – حوش) وهو سمة أساسية في العمارة الدمشقية، حيث يوفر التهوية والإضاءة الطبيعية مع الحفاظ على الخصوصية.

– يحيط بالفناء إيوانات (أروقة مقوّسة) وغرف البيت، مما يخلق توازناً بين المساحات المفتوحة والمغلقة.

٢. **النافورة (الفسقية):** [٤٢]

– في وسط الفناء توجد نافورة ماء رخامية تقليدية تعكس برودة مياهها جوّاً منعشاً في الصيف، بينما يعكس صوت خرير الماء شعوراً بالهدوء.

٣. **الزخارف الإسلامية:** [٤٣]

– الجدران والأقواس: مزينة بزخارف جصيّة (نقوش عربية وإسلامية) وفسيفساء ملونة تعكس فنون العصر العثماني والمملوكي.

– الألوان: تستخدم الألوان الترابية الدافئة مثل الأزرق الدمشقي والأخضر الفاتح مع لمسات من الذهبي.

– النوافذ المشبكة (القمريات): مصنوعة من الخشب المزخرف بالزجاج الملوّن، مما يلقي أضواء ملونة على الفناء.

٤. **الحديقة الداخلية (الريحان):** [٤٢]

– يزرع الفناء بأشجار الليمون والنارنج، ونباتات الزينة – الريحان والياسمين، مما يضفي رائحة عطرة وجوّاً طبيعياً.

٥. **المواد المستخدمة:** [٤٤]

– الحجر الأبلق: مزيج من الحجر الأسود والأبيض في الجدران، وهو نموذج دمشقي أصيل

– الرخام في الأرضيات والنافورة غالباً من النوع المزخرف بتقنية " الأبلق"

٦. **الخصوصية والهدوء:** [٤٤]

– تصميم الفناء المغلق يوفر عزلاً عن ضجيج المدينة القديمة، مما يجعله واحة سلام داخل المنزل.

[7] https://www.thisisdimashq.com/wp-content/uploads/2024/08

٧. **العناصر التاريخية:** [٤٥]

–يحتفظ البيت بلمسات أصلية مثل الدهاليز (الممرات الضيقة) والأبواب الخشبية المنقوشة والتي تعود إلى القرن الثامن عشر ميلادي أو قبله.

٢. ٤. ٣ حارة مئذنة الشحم – تحليل لحيّ دمشقي عريق: [٤٦,٤٧]

تعد حارة مئذنة الشحم، إحدى الحارات التاريخية البارزة داخل نطاق حيّ الشاغور في دمشق القديمة، وهو الحي الذي يمتد على الجهة الجنوبية الغربية من سور المدينة. ويعتبر من الأحياء التي امتزجت فيها العراقة التاريخية بالطابع المعماري الفريد، وتقع هذه الحارة في القسم الأوسط و الغربي من دمشق القديمة، وتمتد جنوبي سوق مدحت باشا، وهي بذلك تشكل جزءاً لا يتجزّأ من البنية العمرانية والاجتماعية لمنطقة الشاغور الجواني، والتي كانت دائماً ملتقى للحضارات ومهبطاً للإبداعات المعمارية عبر العصور الإسلامية، وقد نالت هذه الحارة أهميتها من الناحية المعمارية، فإن البيوت الدمشقية في حارة مئذنة الشحم – كسائر بيوت دمشق القديمة – تتميز بطراز موحد إلى حد كبير، يتألف من غرف واسعة تحيط بفناء مركزي يحتوي عادةً على "بحرة" أو نافورة مياه تتوزع حولها الزهور كالورد الجوري الدمشقي والياسمين، ما يضفي على المكان جوّاً من السكينة والعراقة، و يبدو أن هذه الحارة لم تخلُ من البعد الروحي والأدبي مثل غيرها من أحياء دمشق، فقد ذكرتها بعض النصوص الشعرية الحديثة التي تعبّر عن الانتماء المكاني والوجداني العميق لها، وهذا يدل على أن الحارة ليست مجرد فضاء عمراني، بل هي أيضاً فضاء ثقافي ووجداني يحمل ذكريات أجيال من سكانها. وتبقى مئذنة الشحم شاهداً على عمق دمشق التاريخي وثراء تراثها العمراني، ومثالاً ناصعاً على كيف تتحوّل الحارات الصغيرة إلى مساحات متكاملة من الجمال الإنساني والمعماري.

الشكل (٧-٦): موقع عام لساحة حي مئذنة الشحم (إعداد باحث)- مصدر الصورة[8]

[8] https://www.google.com/url?sa=i&url=https%3A%2F%

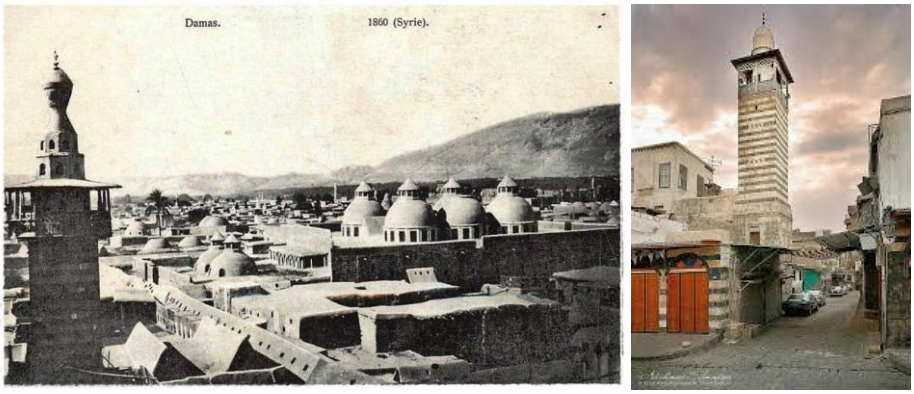

الشكل (٩-٨): حارة مئذنة الشحم- المصدر:[9]

٢. ٤. ٤ التطور العمراني والاجتماعي للساحات الخضراء في دمشق القديمة:

١. دراسة حالة ساحة (مصلّبة الشاغور) في منطقة الشاغور بمدينة دمشق القديمة:

الشكل (١١-١٠): موقع عام حي الشاغور – دمشق القديمة (إعداد باحث)- المصدر: [10]

امتازت دمشق عبر العصور بتنوع معمارها وتراثها الاجتماعي، ومن بين معالمها الحضارية. تميزت الساحات العامة، خاصة تلك التي تحمل طابعاً حضرياً أو ترفيهياً مثل (مصلّبة الشاغور) والتي كانت ولا تزال رمزاً للتفاعل المجتمعي والعمراني في المدينة القديمة.

a) التطور المعماري لساحة مصلّبة الشاغور:

تقع ضمن البنية العمرانية التقليدية لدمشق القديمة، التي تتميز بالتنظيم الدقيق والاعتماد على المواد المحليّة مثل الحجر والخشب، كما أن مساحة دمشق داخل السور تبلغ نحو (١,٦) كم². وهو ما يعكس كثافة عمرانية مرتبطة بنظام الأحياء والأسواق. لم تكن الساحات الخضراء في دمشق دائماً ذات طابع بيئي بحت، بل ظهرت في بعض الحالات كمساحات متعددة الاستخدامات، تجمع بين الزينة والراحة النفسية والتفاعل الحضري، ومع الوقت شهدت هذه الفضاءات تغيّرات نتيجة الضغط السكاني والتوسع العمراني، مما أثر على طبيعتها واستخداماتها. [٤٨]

[9] https://aathaar.net/place/5824

[1] https://www.google.com/url?sa=i&url=https%3A%2F%2Fwww.marefa.org

الشكل (١٣-١٢): ساحة حي الشاغور – دمشق القديمة– المصدر:[1]

b) التطور الاجتماعي والسياقي:

من الناحية الاجتماعية كان لها دور مهم في تعزيز الروابط المجتمعية، فهي لا تخدم فقط قاطني الحيّ، بل كانت أيضاً محط زيارات سياحية ثقافية، كما هو ملاحظ في بعض الوثائق الحديثة التي تشير إلى اهتمام الجمهور بزيارة هذه المنطقة وتصويرها، كما أنها كانت مرآة لحياة أهل الشاغور اليومية، سواء في المناسبات أو في الحياة اليومية الهادئة، وقد ساهم الموقع الجغرافي المركزي للساحة، والمحيط بها من أسواق وأحياء تقليدية في تعزيز أهميتها الاجتماعية، فكانت بمثابة "فضاء عام " يعبر عن هوية الحيّ وقيم أهله. [٤٩]

إن ساحة "مصلّبة الشاغور" ليست مجرد مساحة خضراء عابرة، بل هي جزء من الهوية الثقافية والمعمارية في الشاغور، وبالتالي لدمشق القديمة، وقدرتها على الجمع بين الجوانب المعمارية والتاريخية والاجتماعية يجعلها نموذجاً مميزاً لدراسة العلاقة بين الإنسان والمكان، ولذلك فإن إعادة تأهيل هذه الساحات وحمايتها يتطلب منهجاً علمياً متكاملاً يوازن بين الحفاظ على التراث وتطوير الخدمات العامة.

٢. تطور الغوطة في ريف دمشق –من الفناء الداخلي إلى المساحات الخضراء الحضرية:

يشكل تطور الغوطة في ريف دمشق نموذجاً مميزاً للتفاعل بين العمارة التقليدية والبيئة الحضرية، حيث تجسّد تحولاتها التاريخية التكامل بين القيم الجمالية والوظيفية للمساحات الخضراء.

a) الغوطة: التكامل بين الريف والحضر

تمثل الغوطة الشرقية والغربية ذروة التطور العمراني – البيئي لدمشق، حيث تطورت من: [٥٠]

- بساتين مروية قديمة: يعود نظام الريّ فيها إلى العصور الرومانية والبيزنطية.
- حزام أخضر طبيعي: يحمي المدينة من التصحر ويوفر منتجات زراعية.
- فضاء ترفيهي – ثقافي: كما وصفها ياقوت الحموي في " معجم البلدان ". [٥١]

[1] https://www.google.com/url?sa=i&url=https%3A%2F%2Fwww.facebook.com%2Fyshamooy

وقد طوّر المماليك والعثمانيون هذا النظام عبر تقنيات متقدّمة في الريّ وتوزيع المياة مما جعلها نموذجاً للزراعة الحضرية المستدامة.

b) التحديات المعاصرة والحلول المقترحة:

تواجه الغوطة اليوم تحديات جسيمة بسبب: [٥٠]

- التوسع العمراني العشوائي.
- نضوب المياه الجوفية.
- التلوث البيئي.

c) الحلول: [٥٢]

- إعادة تأهيل النظام المائي التقليدي (قنوات – أقنية – نواعير).
- حماية المساحات الخضراء بقوانين صارمة.
- دمج الغوطة في التخطيط الحضري المستدام.

الشكل (١٤): الغوطة– المصدر : إعداد باحث

٣. تحوّل المدن العربية إلى كيانات هجينة: تفكيك الأسباب والعقبات المعمارية والاجتماعية

يبرز هذا التحليل كيف تحوّلت المدن العربية إلى مسرح للتناقضات، وكيف يمكن تصويب المسار عبر مقاربات علمية وإنسانية.

٣. ١ إشكالية الانزياح المعماري:

شهدت المدن العربية خلال القرنين الماضيين تحولاً جذرياً في هويتها المعمارية، حيث تخلت عن النماذج التقليدية المتناغمة مع نسيجها الاجتماعي والمناخي، لتحاكي أنماطاً غربية مستوردة، هذا الانزياح لم يكن مجرد تعبير جمالي، بل مثّل قطيعة مع الذاكرة الجمعية، وأدى إلى تشكيل بيئات حضرية غير متوافقة مع الاحتياجات المحلية، فكيف حدث هذا التحول، وما العوامل التي قادت إليه؟

٣. ١. ١ العوامل التاريخية والسياسية: [٥٣]

١. الاستعمار وإعادة تشكيل الحضر:

- فرضت القوى الاستعمارية (كالفرنسية والبريطانية) أنماطاً معمارية أوروبية كرمز للهيمنة، كما في الجزائر العاصمة والقاهرة الخديوية.
- تم إهمال الطرز المحلية لصالح " الحداثة " الاستعمارية، مما أدى إلى تفكيك النسيج العمراني التقليدي.

٢. مرحلة ما بعد الاستقلال والنزعة التحديثية:

- تبنت الحكومات الوطنية بعد الاستقلال خططاً حضرية مستوحاة من النموذج الغربي، كتخطيط مدينة الرياض على غرار لوكوربوزيه.
- هيمنة إيديولوجيا التحديث على المشاريع العمرانية، متجاهلة القيم الاجتماعية.

٣. ١. ٢ العوامل الاقتصادية والعولمة:

١. تأثير النيوليبرالية والعقارات:

- تحولت المدن إلى ساحة استثمارية، حيث شجع البنك الدولي على تبني نماذج المدن العالمية.
- طغت الأبراج الزجاجية (مثل دبي والدار البيضاء) على المشهد، رغم عدم ملاءمتها للمناخ الصحراوي.

٢. دور الشركات متعددة الجنسيات:

-فرضت بعض الشركات الأجنبية أنماطاً معمارية لا تراعي الخصوصية.

٣. ١. ٣ الإخفاقات التخطيطية والمعمارية:

١. إهمال العوامل المناخية: [37]

-استبدلت الافنية الداخلية والمواد المحلية (كالحجر والطين) بزجاج وإسمنت غير متكيف مع الحرارة.

-أدى ذلك إلى استهلاك زائد في الطاقة (مكيفات الهواء) بنسبة ٤٠% في المدن الجديدة.

٢. تفكك النسيج الاجتماعي: [37]

-دمّرت المشاريع الكبرى (كالكورنيشات والطرق السريعة) الأحياء العضوية كما في دمشق وبغداد.

- تحوّلت المساحات العامة إلى أماكن استهلاكية (المولات) بدلاً من الساحات التقليدية.

٣. ١. ٤ العقبات الثقافية والبيئية:

-فقدان الهوية: أصبحت المدن العربية "نسخاً كربونية " من بعضها.

-التلوث البصري: اختفاء العناصر الجمالية (كالرواشين والمشربيات) لصالح الواجهات الزجاجية.

٣. ١. ٥ نحو استعادة الهوية:

يتطلب إصلاح هذا الوضع:

-إحياء العمارة المحلية عبر سياسات تخطيطية جديدة.

-دمج الحداثة مع التراث، كما في مشاريع حسن فتحي.

-تمكين المجتمعات المحلية في صنع القرار الحضري.

٣. ٢. البعد الإيكولوجي في التصميم العمراني المعاصر، (أو التصميم الحضري المستدام):

يشير إلى دمج المفاهيم البيئية والاستدامة في عملية تخطيط وتصميم المدن والمباني، ويهدف إلى تقليل الآثار السلبية على البيئة وتعزيز التوازن بين التطور العمراني والنظم الطبيعية. أصبح هذا المفهوم محورياً في مواجهة التحديات البيئية مثل تغير المناخ، وندرة الموارد، وفقدان التنوع الحيوي. ومن أهم الأمثلة على تطبيقات البعد الأيكولوجي: [٥٤]

-مدن إيكولوجية مثل فرايبورغ (ألمانيا) أو كوبنهاغن (الدنمارك) التي تعتمد على الطاقة النظيفة والنقل المستدام.

-المباني الخضراء مثل تلك الحاصلة على شهادة (LEED) أو (BREEAM).

-المشاريع العمرانية الذكية التي تستخدم تكنولوجيا لمراقبة استهلاك الطاقة والمياه.

٣. ٢. ١ أهم مبادئ البعد الإيكولوجي في التصميم العمراني:

١. الاستدامة البيئية: [٥٥]

-استخدام مواد بناء صديقة للبيئة (معاد تدويرها، محلية، أو منخفضة الكربون).

-تقليل استهلاك الطاقة عبر التصميم السلبي (كالتهوية الطبيعية، والإضاءة الطبيعية).

-الاعتماد على مصادر الطاقة المتجددة (كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح).

٢. دمج الطبيعة في العمران: [٥٦]

-إنشاء البنية الخضراء (مثل الأسطح الخضراء، الجدران النباتية، والحدائق العمودية).

- المحافظة على المساحات الخضراء والتنوع البيولوجي (مثل الحدائق العامة والممرات البيئية).
- استخدام أنظمة الزراعة الحضرية (كالأسطح المزروعة أو الحدائق المجتمعية).

٣. إدارة الموارد الطبيعية:

- ترشيد استهلاك المياه عبر أنظمة تجميع مياه الأمطار وإعادة استخدام المياه الرمادية.
- معالجة النفايات الصلبة والسائلة بطريقة مستدامة (إعادة التدوير، التسميد..).

٤. التكيّف مع المناخ:

- تصميم عمران مقاوم للتغيرات المناخية (مثل التخفيف من تأثير الجزر الحرارية الحضرية عبر زيادة المساحات الخضراء).
- استخدام تقنيات التبريد الطبيعي وتصميم مباني متكيفة مع المناخ المحلي. [٥٦]

٥. التخطيط الحضري المتكامل: [٥٧]

- تشجيع المدن المدمجة (تقليل الزحف العمراني على الأراضي الزراعية والطبيعية).
- تعزيز وسائل النقل المستدام (المشي، ركوب الدراجات الهوائية، النقل العام).
- تصميم أحياء متكاملة الخدمات لتقليل الحاجة إلى التنقل بالسيارات.

٣. ٢. ٢ فوائد هذا النهج:

١. تقليل البصمة الكربونية للمدن.

٢. تحسين جودة الحياة (هواء أنظف، مساحات خضراء، بيئة صحية).

٣. تعزيز المرونة الحضرية في مواجهة الكوارث الطبيعية.

فالبعد الأيكولوجي في التصميم العمراني هو رؤية شاملة تهدف إلى جعل المدن أكثر استدامة وانسجاماً مع الطبيعة، مما يضمن مستقبلاً أفضل للأجيال القادمة.

٤. الخلاصة:

❖ برزت العلاقة الجدلية بين العمارة والطبيعة كحوار إبداعي متواصل، حيث تشكلت المدن العربية عبر العصور ككائنات حيّة تنبض بالحضارة والخضرة، لقد كشفت هذه الدراسة كيف تحوّلت المساحات الخضراء من مجرد عناصر وظيفية إلى رموز ثقافية عميقة تعكس فلسفة التوازن بين الإنسان والبيئة. من الفناء الداخلي كقلب نابض بالحياة إلى ساحات الأحياء التي مثلت مسرحاً للتفاعل الاجتماعي، وصولاً إلى منتزهات الضواحي التي تجسد التحوّل من النفعية إلى البعد الجمالي والحضاري.

❖ تظلّ العمارة العربية شاهدة على قدرة الإنسان في صياغة فضاءات تتناغم مع الطبيعة دون أن تسيطر عليها. وبالمقارنة مع النموذج الأوروبي، فقد أظهرت خصوصية الفضاءات العربية في الجمع بين الانفتاح والخصوصية، مما يطرح أسئلة حول إمكانية استلهام هذه القيم في التخطيط المعاصر.

❖ إن التحولات الحديثة حوّلت المدن العربية إلى كيانات هجينة، تتنازعها هويات متضاربة بين الأصالة والحداثة، إن تفكيك أسباب هذه التحولات يكشف عن تحديات جذرية تواجه الهوية المعمارية والاجتماعية، مما يستدعي وقفة نقدية لإعادة تعريف العلاقة بين العمران والبيئة في ظل متغيرات العصر.

❖ ضرورة العمل على إحياء العمارة المحلية من خلال خطط وبرامج تخطيطية جديدة ومتفاعلة، تدمج الحداثة بالتراث، وتعمل على تمكين المجتمع المحلي في المشاركة واتخاذ القرار.

❖ ضرورة اعتماد رؤية شاملة ذات بعد أيكولوجي تهدف إلى جعل المدن أكثر استدامة من خلال دمج المفاهيم البيئية والاستدامة في عملية تخطيط وتصميم المدن والعمران، مما يقلل من الآثار السلبية على البيئة ويعزز التوازن بين العمران والنظم الطبيعية.

وختاماً، ليست العمارة العربية مجرد حجر وشجر، بل هي سردية حضارية تروي قصة الانسجام بين الانسان والأرض. حيث كانت المدن هي مرآة الشعوب، لذلك فإن المدن العربية مدعوّة اليوم لاستعادة دورها كواحات خضراء تحيي التراث وتثري المستقبل، فهل نستطيع إعادة اكتشاف روح هذه العمارة؟

المراجع:

[١] IBRAHIM, HEBA. (2024). "The Values of the Inner Courtyard and Their Impact on Contemporary Interior Design". Journal of Heritage and Design, Volume 4, Special Issue (1), November (2024), pp. 1628-1630.

[٢]ABU ASBAA, RANA ALI. (2012). "The Inner Courtyard in the Arab-Islamic House - The Damascene House - A Case Study". Master's Thesis - The World Islamic Sciences and Education University, College of Graduate Studies, Amman, Jordan.

[٣]YOUSSEF AHMED, WAEL HUSSEIN. (2017). "The Effect of the Location of the Courtyard on Housing Efficiency in Arab Heritage" Architecture. Journal of Urban Research, Volume (25), July (2017), College of Urban and Regional Planning, Cairo University, Egypt.

[٤]KARIM, IKHLAS. (2009). "A Study of the Impact of the Inner Courtyard in Addressing the Climatic and Social Conditions of Arab Residential Units". Journal of Babylon University: Pure and Applied Sciences, Iraq.

[٥]FRIWAN, WALID ABDUL SALAM. (2024). "The Role of the Inner Courtyard of Traditional Libyan Dwellings in Achieving Thermal Comfort in Terms of the Percentage of Openness to the Sky". 2nd International Conference on Engineering Sciences, Libya.

[٦]RAAFAT, WAEL. (1997). "Principles of Sustainability in Traditional Islamic Architecture". EcoMENA.

[٧]ABDEL RAHMAN, MAHMOUD. (2014). "The Role of Wind Simulation Techniques in the Environmental Sustainability of Architecture and Urbanism: A Case Study of Medium-Sized Cities". Research Gate.

[٨]AL-NAEEM, MISHARI BIN ABDULLAH (2002)." The Linguistic Meaning and Cultural Value of the Inner Courtyard. Al-Yawm Newspaper."

[٩]Ibrahim, Abdul-Baqi Muhammad (1968). "Urban Heritage in the Contemporary Arab City."

[١٠]NATIFA, DR. RULA (2014). "A Return to Heritage in Contemporary Arab Architecture in the Light of Sustainability."

[١١]ABDUL-SAMEE, MUHAMMAD (2001)." Re-employing the Idea of the Courtyard Dwelling in Contemporary Architecture. A Research Paper Presented at the International Conference "Courtyard Dwelling in Arab Cities." University of Homs, Syria.

[١٢]NIDAL, NAQAA (2021). "Contemporary Arab Architecture and Its Local Specificity". Published via the Research Gate platform.

[١٣]AL-ZAHRANI, AHMED (2019). "Reviving the Courtyard in Contemporary Arab Architecture: A Case Study of the Green Casablanca Project". Publisher: The Arab Journal For Architecture and Planning.

[١٤]AL-NAIMI, KHALID. (2020). "The Courtyard of the Future: Integrating Transparent Solar Cells into Courtyard Design in Dubai". Journal of Modern Architectural Techniques.

[١٥]AL-SAUDI, NASSER. (2021). "Transforming Courtyards into Community Spaces: A Study of the "Courtyard Neighborhood" Project in Riyadh". Journal of Urban Development.

[١٦]Al-Muaini, Abdullah. (2014). "Unifying Green Building Standards in the UAE: A Step Towards Sustainability. Al-Khaleej Newspaper."

[١٧]AL-QURASHI, ABDULLAH. (2012)." Public Spaces in the Islamic City: A Study of Origin, Evolution, and Function." Dar Alam Al-Kutub.

[١٨]AL-OBAIDI, FATIMA. (2016). "Green Spaces in Islamic Cities: Between Aesthetics and Social Functionality." Damascus: Dar Al-Fikr.

[١٩]AL-SAYED, AHMED. (2018). "Neighborhood Courtyards in Islamic Architecture and Architecture: An Analytical Study of Social and Environmental Functions". Beirut - Dar Al-Nahda Al-Arabiya.

[٢٠]AL-HUSSEINI, ALI. (2020). "Architecture Sustainable Development in Arab Cities: Integration between Environment and Society". Casablanca, Dar Al-Aman.

[٢١]HUSSEIN, SUSAN (2018). "Patterns and Forms of Islamic Gardens". Journal of the Refereed Scientific Thesis, Issue 8, Year 3, December.

[٢٢]HAMED, SALAH (2013)." Integration between Interior Design and Architectural Landscaping to Achieve Human Comfort." Journal of Applied Arts and Sciences, Damietta University.

[٢٣]OMRAN, NAHEL AHMED (2024). "Our Public Gardens Flourish with Green Thought". November.(٢٠٢٤)

[٢٤]AL-SHAMMARI, ABDULLAH (2018). "The Impact of Urban Expansion on Green Spaces in Saudi Cities: A Case Study of Riyadh". Center for Urban Research and Studies, King Saud University.

[٢٥]AL-ANSARI, FATIMA (2019)." Transformations of Public Space in Arab Cities: From the Square to the Mall". Arab Journal of Social Studies, Cairo University.

[٢٦]AL-HASHEMI, SARAH (2020)." The Impact of Declining Green Spaces on the Urban Environment in Gulf Cities" .Journal of Environment and Sustainable Development, United Arab Emirates University.

[٢٧]AL-ZAHRANI, MOHAMMED (2017)." Integrating Green Spaces into Urban Planning: A Future Vision for Arab Cities." Urban Planning Center, King Abdulaziz University.

[٢٨]AL-HAMMADI, NOURA (2022). "Water Scarcity and Climate Change: Challenges of Sustainable Vegetation Cover in Arab Cities". Journal of Environmental Studies, Qatar University.

[٢٩]AL-MAKTABI, MOHAMMED (2020)." Developing an Advanced Digital Model for the Development of Open and Green Areas through Integration of Smart Growth Principles and Sustainable Development Goals: An Application to Egyptian Cities. "Research Gate.

[٣٠] (٢٠٢٢)Challenges of Urbanization in Transforming Arab Societies: Social and Human Approaches. Arab Center for Research and Policy Studies.

[٣١]PRESS KIT (2025)." From Sustainability to Depletion. Ministry of Environment and Water and Agriculture", Kingdom of Saudi Arabia.

[٣٢]SALEM, ABDULAZIZ (2023)." Islamic Architecture in Andalusia and its Development." Journal of the World of Heritage and Algerian Society, University of M'sila.

[٣٣]AL-MOUSSAWI, MUHAMMAD ARAB (2023). "The Importance of Green Spaces, Their Distribution, and Design Systems in Cities - The City of Amarah as a Model." College of Basic Education, University of Maysan.

[٣٤]KING SOLOMON PARK PROJECT (2019). "King Salman Park Foundation. King Salman Park in Riyadh: A Civilizational Project that Reflects Cultural Identity and Promotes Environmental Sustainability."

[٣٥]SHATIYAH, AHMED (2021). "Public Spaces in Amman: Challenges and Transformations of Urban Areas". Dar Al-Arabi Al-Jadeed, Doha.

[٣٦]AL-KINDI, SAJIDA KAZIM (2014)." The Impact of Sustainability and Spatial Organization of the Giza Unit on the Residential Environment". Geography Blog: Geographical Studies and Research.

[٣٧]NAJEEL, AMAL KAMAL ABDEL RAZEK. AL-DABBAGH, SHAMAEL MOHAMMED WAJIH (2008)." Sustainability of Traditional Cities Between Past and Contemporary Today: A Comparative Study."

[٣٨]SAHAB, AYED, AND SAMI (2015). "The Basic Elements of Arab-Islamic Urban Planning." Journal of Arts, Issue (112), pp.(٤٢٥-٤٤٨) .

[٣٩] AL-HALLAQ, ALI ABDUL QADER (2008). "History of the Ghouta of Damascus". Damascus: Ministry of Culture.

[٤٠] AL-RIFAI, ABDUL JABBAR (2003). "Water Systems in the Ghouta of Damascus." Damascus: Arab Writers Union.

[٤١] AL-QASIMI, KHALID (1992). "Old Houses of Damascus". London: Dar Al-Saqi.

[٤٢] AL-SHIHABI, QUTAIBA (2005)." Damascus. History and Architecture - Historic Damascene Houses." Al-Ahali for Printing and Publishing.

[٤٣] ABAZA, NIZAR (2014). "Palaces of Damascus - Memory of the Ancient City. "Dar Al-Bashaer for Publishing and Distribution.

[٤٤] QAJAH, MUHAMMAD (1998). "Damascene Houses - An Architectural and Historical Study". Syrian Ministry of Culture - General Book Authority.

[٤٥] HIJAZI, ABDULLAH (2007)." The Architectural Heritage of Damascus - Nizam Palace as a Model". Dar Al-Fikr Al-Mu'aser.

[٤٦] ABDUL RAHMAN, MUHAMMAD (2003). "Old Damascus: A Study in Urban Planning and Cultural Heritage". Beirut. Dar Al-Fikr Al-Arabi.

[٤٧] AL-KHOLI, AHMAD (2021). "Old Damascus Neighborhoods and Their Historical Development." Damascus: General Organization for Historical Studies and Research.

[٤٨] SHAHADA, MUHAMMAD (2023). "Sustainable Urban Development in Old Damascus." Dar Al-Fikr Al-Arabi.

[٤٩] NASSAR, ABDUL RAHMAN (2022). "Public Spaces in Islamic Cities: A Comparative Study." Dar Al-Nashr Al-Ilmiyyah.

[٥٠] IBN ASAKIR (1995). "History of the City of Damascus". Dar Al Fikr, Damascus.

[٥١] AL-HAMAWI, YAQUT (1995). "Dictionary of Countries". Dar Sader, Beirut.

[٥٢] ABDUL KARIM, RIFAAT (2002). "Arab-Islamic Architecture in Damascus." Dar Al Atlas. Damascus.

[٥٣]ABDULLAH, NAWAL (2017). "Sustainability in Architecture: A Study of the Role of Sustainable Design Strategies in Reducing Impacts on the Urban Environment. Scribd".

[٥٤]AL-ASHARY, MUHAMMAD BASSAM (2015). "Traditional Architecture in Damascus" .Damascus: Dar Tlass.

[٥٥]AL-JABOURI, MOHAMMED (2021). "Evaluating Ecological Design Considerations in the Built Environment. Fayoum "University for Engineering Sciences, Egypt.

[٥٦] AL-ANSARI, MOHAMMED (2015). "Sustainable Design from Theory to Practice." Iraqi Architecture Journal. University of Technology.

[٥٧] AL-SHAMMARI, LAILA (2021). "The Impact of Urban and Architectural Design of the Residential Environment on Human Behavior". Journal of Applied Social Sciences.